



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies



أوراق سياسية

التيار اليميني في الغرب ..
الصعود والتأثير



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

أولاً: تقديم

عرفت السنوات الأخيرة صعوداً واضحاً لأحزاب و(تمثيلات) التيار اليميني، ما بين أحزاب اليمين العنصري، واليمين الفاشي، واليمين الراديكالي، ليس فقط في دول أوروبا بألمانيا، وفرنسا، وهولندا، بل ودول شرق أوروبا، وبعض بلدان أوروبا الشمالية، وانعكس ذلك على النتائج الأولية لبعض الاستحقاقات الانتخابية التي جرت على مستوى معظم دول الاتحاد الأوروبي (مثل: السويد والمملكة المتحدة وفرنسا والنمسا وهولندا وسويسرا والدنمارك)، وكلُّ هذا الصعود بوصول دونالد ترمب إلى رئاسة أكبر الدول وأهمها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً في العالم؛ وهي الولايات المتحدة الأمريكية.

يمثل هذا الزحف تهديداً شديداً لا لمصير المصالح السياسية والاقتصادية في هذه البلدان فقط، بل ولجسد النظام العالمي بأكمله، حيث تتبنى هذه التنظيمات والأحزاب رؤى وتصورات استراتيجية سياسية واقتصادية قد تغير إلى حدٍّ ما من توازن المصالح الذي عرفه العالم خلال أكثر من ثلاثة عقود كاملة، أي منذ سقوط الاتحاد السوفيتي السابق تقريباً.

إن الطريقة التي يصعد بها اليمين في أوروبا والولايات المتحدة الآن، بالتزامن مع صراعات دموية في العالم، وجزء كبير منها مرتبط بالصراعات في منطقة الشرق الأوسط، تشبه كثيراً تلك المرحلة التي مرَّ بها العالم في الثلاثينيات، التي مثلت حقبة شديدة السوء، شهدت انهياراً اقتصادياً بأوروبا والولايات المتحدة، إثر أزمة الكساد العالمي الكبير، وبروز النازية في ألمانيا، في رد فعل على الانهيار الاقتصادي والأزمات المتتالية التي شهدتها الدولة الألمانية من جراء خضوعها للشروط المجحفة للحلفاء، إثر الهزيمة التي لحقت بها في الحرب العالمية الأولى، ثم ظهور اليمين الفاشي في إيطاليا بقيادة (موسوليني)، الذي تحالف مع هتلر، وقاد حرباً ضارية ضد الليبيين، واحتل إثيوبيا، وتكللت كل تلك الصراعات لاحقاً بالحرب العالمية الثانية.

هناك عوامل مختلفة أدت إلى الصعود الكبير لقوى اليمين وتمثيلاته وخطابه في السنوات الأخيرة، منها عوامل داخلية مرتبطة بالواقع السياسي والاجتماعي الأوروبي والأمريكي، يتعلق جزء منها بالأزمات الاقتصادية، وتخبط سياسات أحزاب اليسار وأحزاب الوسط، وعوامل أخرى خارجية مرتبطة بمشاكل دولية ما بين أزمة اللاجئين، وزيادة ظهور حركات متطرفة وصل صدَى خطابها، بل وعملياتها، إلى الشوارع الأوروبية والأمريكية، وكان أبرزها- بلا ريب- تنظيم داعش.

واليوم تجد أحزاب اليسار ويمين الوسط، وهي الأحزاب التي تشكل الأغلبية في

الحكومات الأوروبية، صعوبة شديدة في تجاهل هذا الصعود اليميني، فعلى الرغم من تفاوت النتائج التي أحرزها أقصى اليمين هناك، بين الوصول إلى الحكم أو المشاركة في تشكيل الحكومات، أو على الأقل المنافسة الجدية والاقتراب من تحصيل السلطة، فإنها تمكنت بلا شك من أن تخلق نوعاً من الفوضى ضمن الأنظمة السياسية الأوروبية التي تميزت غالباً بالاستقرار، بحيث أصبح من الصعب على الأحزاب التقليدية، ضمن اليمين أو اليسار، أن تحقق أغلبية مستقرة كما كانت عليه العادة، وأصبحت مجبرة على التعاون مع الأحزاب اليمينية المتطرفة بعدما كان مجرد حصول حزب يميني على عدد محدود من المقاعد في البرلمان حدثاً يحرك القارة بأكملها .

ثانياً: تسمية اليمين

لا يوجد اتفاق واضح بين الذين تناولوا موضوع أحزاب أقصى اليمين على وضع تعريف جامع لليمين الراديكالي، على الرغم من الاتفاق حول خصائصها المشتركة وسماتها المتطرفة، ومن أكثر المقاربات التي حظيت بالإجماع حول الخصائص المشتركة لأحزاب اليمين المتطرف الأوروبي هي التي قدمها أستاذ العلوم السياسية الهولندي مايندرت فينيما (Meindert Fennema). والتي تتناول هذه الأحزاب كنسق فكري موحد، من خلال برنامجها المعادي للهجرة والمهاجرين، رغم بعض الاختلافات في أولويات الشأن الداخلي، ولذا يُطلق عليها أحزاب ضد الهجرة (Anti-immigration Parties)، إذ يُصوّر المهاجرون على أنهم مشكلة في أربع صور مختلفة: تهديد للهوية الإثنية-وطنية، وسبب رئيسي للبطالة والجريمة، ومظاهر أخرى من انعدام الأمن الاجتماعي، ومستغلون بسوء لما توفره دولة الرفاهية.

فالعداء للأجانب، ورفض الأقليات، وفكرة التعددية الثقافية، والدفاع عن هوية إثنية-وطنية وعن التقاليد القومية التاريخية، والدعوة إلى الحد من الهجرة؛ جميعها تعد القاعدة المشتركة لأي برنامج سياسي لحزب يميني متطرف، بالإضافة إلى عناصر أخرى ترتبط بالداخل الأوروبي، أهمها انتقاد سياسات الديمقراطية الاجتماعية للييسار، وتشجيع الفردية لليمين، ورفض الاندماج الأوروبي، والدعوة لتقليص الضرائب، ولتشديد عقوبات الجرائم، ورفض سياسات المساواة للنساء، وسياسات حماية البيئة .

فاليمين المتطرف هو الوصف الذي يطلق على العديد من الأحزاب في القارة الأوروبية التي- وإن اختلفت في بعض الآراء تجاه القضايا الأوروبية الداخلية- تجتمع على اتجاه موحد أساسي؛ هو العداوة للمهاجرين، والسعي للحد من الهجرة، حيث تجمع مجموعات اليمين على أن المهاجرين يهددون القومية الأوروبية (من خلال السعي لأوروبا مسلمة؛ وهو ما يهدد القومية الأوروبية القائمة على العلمانية وفصل الدين عن الدولة)، وسيئون استغلال

المزايا التي توفرها دولة الرفاهية (كبرامج الإعانة وغيرها). وترى تلك الأحزاب أيضاً أن المهاجرين هم السبب الرئيسي لانتشار الجريمة وارتفاع معدلات البطالة في أوروبا. علاوة على ذلك تتسم تلك الأحزاب، التي تشكل ما يسمى باليمين المتطرف، بمجموعة أخرى من الخصائص التي تشكل نسقاً متميزاً؛ فأغلبها ينطوي على عداة للاندماج الأوروبي، وتدعو إلى تقليص الضرائب، وتشديد عقوبات الجرائم، وعدم الاكتراث بالقضايا البيئية .

الصورة العامة لليمين واليسار في أوروبا بدأت تتبدل في الثمانينيات مع ظهور معالم الاهتراء في المعسكر الشرقي من جهة، وظهور ما عرف بالرأسمالية المتشددة في الغرب من جهة أخرى، والتي حملت اسم الريغانية نسبة إلى الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان، والتاثيرية نسبة إلى رئيسة الوزراء البريطانية سابقاً مارغريت تاتشر. وباتت الخريطة الحزبية الأوروبية تحتوي على اليسار الاشتراكي أو الشيوعي، وريث الشيوعية، كما في ألمانيا الموحدة وبلدان أوروبا الشرقية؛ والأحزاب الشيوعية التقليدية في بلدان أوروبية أخرى، مثل فرنسا وإيطاليا؛ واليسار من الاشتراكيين والديمقراطيين الاشتراكيين، وغالب أحزابه سلك نهج ما سمي الطريق الثالث بزعامة الحزب الديمقراطي الاشتراكي في ألمانيا وحزب العمال في بريطانيا، وكان أغلب أحزاب هذه المساحة يميل سياسياً واقتصادياً إلى التخلي عن كثير من الضمانات الاجتماعية التاريخية، وسميت بأحزاب يسار الوسط، وكان بجوارها اليمين التقليدي من المحافظين والمسيحيين والأحرار، وقد أصبحت أحزاب هذا اليمين التقليدي في هذه المرحلة أقرب إلى الرأسمالية المتشددة، مع تبني العولة دون إبداء تحفظات تشبه ما يقدمه اليسار عليها .

وهناك اليمين المتشدد، أو أحزاب أقصى اليمين، وقد أصبح أبرز ما يميزها عن اليمين التقليدي تبنيها للدعوات القومية، وهي المشاركة حقاً في اللعبة الديمقراطية، رغم الخلط المتعمد، غالباً، بينها وبين اليمين المتطرف.

أما اليمين المتطرف الذي لا تمثله أحزاب رسمية إلا نادراً، فغالبا محظور، وهو المقصود عند الحديث عن نازيين جدد، أو حليقي الرؤوس، أو جماعات العنف اليميني، أو الجماعات العنصرية .

والملاحظ في هذا المشهد هو ضمور وجود أحزاب الخضر التي كانت تمثل قطاع المحافظة على البيئة، وحركة السلام، ومناهضة التسلح، وغابت هذه الدعوات في مناهج الأحزاب الأخرى، وفي نشاط المنظمات غير الحكومية، مقابل تنامي اتجاه وليد يمثل (مناهضي العولة)، الذي ظهر بقوة في فرنسا على وجه الخصوص، وانتشر موقع دعوات البيئة وحركة السلام على مستوى جيل الشبيبة، ولا يستبعد أن تظهر تشكيلات حزبية له في عدد من البلدان الأوروبية .

و«الفرق بين اليمين التقليدي واليمين المتطرف أن الأول يسعى إلى الحفاظ على التقاليد

وحماية الأعراف داخل المجتمع، والثاني كذلك، ولكن الاختلاف يكمن في أن الثاني يدعو للتدخل القسري واستخدام العنف للحفاظ على تلك التقاليد والأعراف.

ويمكن القول إن اليمين المتطرف في أوروبا يتصف بالتعصب القومي لجنسه، والتعصب الديني، ومعاداة المسلمين خاصة والمهاجرين عامة، وذلك لأنه يرى أن ما يحدث من جرائم وسرقات هو بسبب زيادة الهجرة، وأن لدى المسلمين والأجانب عادة عادات وتقاليد جلبوها من بلادهم الفقيرة، وهم لا يحبون أن تدخل مثل تلك العادات بلادهم» .

ثالثاً: أسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا وأمريكا

ازدادت فرص نجاح اليمين الأوروبي بعد الأزمات الاقتصادية التي قابلت أوروبا تحديداً، بعد الأزمة العالمية الثانية في ٢٠٠٨، حيث كانت الأطروحات اليمينية تتحدث تحديداً عن مسألة انكفاء الأوروبيين على حل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية بعيداً عن الانهماك في المشكلات الخارجية، وعن اتباع الأمريكيين في حروبهم في مناطق مثل الشرق الأوسط، ثم تزايدت فرص تقدم اليمين على نحو أكبر بعد تخبط الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بالعراق وأفغانستان، ثم لاحقاً الانحسار الذي لحق بالربيع العربي، واندلاع الوضع في سوريا، وتزايد موجات الهجرة إلى أوروبا خاصة، والغرب عامة على نحو كبير.

بالنسبة إلى القضية الأولى؛ وهي الهجرة؛ من الصعب تناول أسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا مؤخراً بمعزل عن أوضاع الشرق الأوسط، ليس في الوقت الحالي فقط، وإنما منذ زمن بعيد؛ ففي فرنسا يعد استقلال الجزائر واحداً من أهم الأحداث التي أسهمت في تشكيل أقصى اليمين الفرنسي، فهي الحدث الذي دمر حالة السلام بين اليمين المعتدل واليمين المتطرف داخل فرنسا، وهو ما أسهم لاحقاً في تشكل أحزاب أقصى اليمين، مثل حزب الجبهة الفرنسي في بداية نشأته .

تمثل قضية المهاجرين صداماً مزمناً للحكومات الغربية، إذ يمثل تدفق هذا العدد الضخم أزمة بالنسبة إلى قطاع من المجتمع الغربي، فهو يرى في هذا الزحف القادم من الشرق الأوسط وإفريقيا خطراً يهدد فرص العمل، وسوق العمالة الذي يعاني من ظروف صعبة، والحصول على مكتسبات الأوروبيين فيما يخص الخدمات الاجتماعية والسكنية والصحية، بل كذلك يهدد هوية المجتمع الأوروبي وثقافته، وكل هذه الإشكاليات يجيد صياغتها اليمين الأوروبي في خطاب تعبوي يحشد به كثيراً من الأنصار في الانتخابات المختلفة؛ من انتخابات المحليات، مروراً بانتخابات تشكيل الحكومات والبرلمان، بل وحتى انتخابات الاتحاد الأوروبي.

أما حالياً فالأزمة السورية- على سبيل المثال- لم تؤد فقط إلى زيادة رهيبه في أعداد اللاجئين الحالية بأوروبا، وهو ما نما معه الخطاب اليميني المعادي للمهاجرين، وإنما أيضاً فتحت الباب أمام هواجس مستقبلية من أن يؤدي تكوين جاليات شرق أوسطية وإفريقية

كبيرة داخل حدود الاتحاد الأوروبي إلى اجتذاب مهاجرين بمعدلات أضخم، وبمخاطرة أقل، وإلى تعاظم (بيزنس) التهريب، وتحوله إلى صناعة ضخمة وثرية، تتفاقم معها أزمة الهجرة واللجوء .

وفي بعض الأحيان كانت أزمة اللاجئين تمثل عاملاً مهماً في تغذية الخطاب اليميني أكثر من خلقه ، فأزمة الاعتداءات الجنسية التي شهدتها ألمانيا، ومنها اعتداءات رأس السنة (٢٠١٥) في كولونيا، كانت نقطة انطلاق جديدة لحزب (البديل من أجل ألمانيا) اليميني، الذي كان قد أُسس في بداية الأمر لانتقاد العملة الموحدة لدول الاتحاد الأوروبي .

ولا ريب أنه في ظل الصعوبات الاقتصادية التي تعانيها القارة الأوروبية، التي فيها رسمياً ٢٢ مليون عاطل عن العمل، يُضاف إلى ذلك موجة السياسات النقشفية التي تتبعها العديد من الدول الأوروبية، تزداد تكلفة اللاجئين على الدولة المضيفة، في مجالات المرافق والتعليم والصحة وغيرها، كما أن عدم قدرة الأحزاب والتيارات السياسية التقليدية على تقديم الحلول أو البدائل الناجحة لتلك الإشكاليات، ساعد قوى اليمين المتطرف على سحب البساط من تحت أقدام هذه التيارات، لا سيما ذات التوجه اليساري والاشتراكي، وأحزاب يمين الوسط؛ بعبارة أخرى: يدفع إخفاق الأحزاب التقليدية الناخبين الأوروبيين إلى (التصويت العقابي) لحساب اليمين المتطرف؛ نتيجة لعدم الرضا عن سياسات اليمين واليسار، ورفض الناخبين لبرامجهم أكثر من كونه قناعة ببرامج أقصى اليمين .

وفي المجمل يبدو تعبير التصويت العقابي صحيحاً إلى حد كبير في حالات تصويتية كثيرة، ليس في أوروبا وحدها بل في الولايات المتحدة أيضاً، فقبل فوز دونالد ترمب اهتمت الصحف بالمصوّتين سراً للمرشح اليميني، ونشرت صحيفة الجارديان ما تلقته من رسائل من هذه الشريحة من الناخبين، كانت النماذج تحوي عالماً متخصصاً، أو شاباً مسلماً مثلي الجنس يخشى- رغم تحررية أفكاره- من تزايد الوجود الإسلامي داخل المجتمع الأمريكي، أو أستاذاً جامعياً يرغب في أن يكون فوز ترمب صفقة على وجه المهتمين باللباقة السياسية (Political Correctness) داخل الدوائر الأكاديمية .

ثم يأتي العامل الثاني، الذي أدى إلى صعود الحراك اليميني بأوروبا، وهو انتشار الفكر المتطرف على مستوى العالم، والذي عمل على دعم الفكر اليميني المتطرف وزيادة مقبوليته بين قادة الرأي العام الأوروبي، فلا شك أن انتشار (داعش) يثير مخاوف لدى الرأي العام الأوروبي حول مدى الثقة بقدرة المجتمعات المفتوحة والحررة على حماية مواطنيها، وهو ما يسمح لقوى اليمين المتطرف بإثارة الشكوك حول جدوى آليات الدفاع لدى الحكومات الأوروبية، لا سيما مع تعرض بعض المدن الأوروبية لعمليات إرهابية، مثلما حدث في باريس وبروكسل. ويرتبط ذلك بتصاعد مفهوم (الإسلاموفوبيا) وموجة

العمليات الإرهابية منذ أحداث ١١ سبتمبر، والتخوفات من سرعة انتشار الدين الإسلامي في أوروبا، على الرغم من أن عدد المهاجرين لا يتجاوز ٥٪ من السكان؛ وهو ما رسخ هدف اليمين المتطرف لكسب قاعدة جماهيرية بالادعاء أن الإسلام ومتبعيه هم التهديد الأساسي لقيم أوروبا الثقافية والقومية.

وفي هذا السياق، فإن عنصر القوة الذي يساعد اليمين المتطرف هو قدرته على تبني خطاب يربط مُجمل تلك العوامل بعضها ببعض، بحيث تُربط المشكلات الاقتصادية والمالية، وحتى الأخلاقية، التي ظهرت في أوروبا منذ عام ٢٠٠٨، بالنواحي الأمنية والهجرة وتدفق اللاجئين والتهديدات الإرهابية، مع ترويج هذا التيار أن لديه حلولاً لمعالجة هذه الأزمات المركبة .

هناك جهات نظر تتحدث عن أن اليمين المتطرف استطاع أن يستأثر بأذن الناخبين، خاصة في أمور تمس حياتهم اليومية، منها طوفان الهجرة، التي أسماها بعض السياسيين الغربيين بالغزو الاستعماري، فزادت دعوات الانغلاق، وإغلاق الحدود، وارتفعت النعرة الوطنية، ونجح أيضاً هذا اليمين في التحالف مع (المحافظين)، خاصة في الأمور الأخلاقية، كزواج المثليين، والتبني للعائلات المثلية، والإجهاض.

كذلك أدى صعود تيار الإسلام السياسي والسلفي في تلك الدول الأوروبية، وربطه بموجة الإرهاب التي تجتاح أوروبا؛ إلى شعور تلك الشعوب أن ديمقراطيتهم وأسلوب حياتهم في خطر، إضافة إلى استخدام هذا التيار للتخويف من أن أوروبا تفقد هويتها التاريخية، وحدودها الجغرافية من خلال الذوبان في دول وثقافات أخرى، ويرون أن القرار السياسي لم يعد قرار الدول والشعوب، بل قرار بروكسيل (عاصمة الاتحاد الأوروبي) التي تقرر سياسات كثيرة؛ ليس فقط في المجال السياسي، ولكن في المجال الصناعي والزراعي أيضاً، وهو ما يعود بالخسارة على هذه القطاعات.

وفي الشأن الاقتصادي، ولأجل استقطاب الوسط واليساريين، يعد اليمين المتطرف البسطاء والعمال والعاطلين بحمايتهم من سيطرة رأس المال المتوحش .

وتقدم الكاتبة (جين ماير) ، في كتابها الجديد (المال الأسود)، رواية سردية خاصة بحالة اليمين الأمريكي؛ بتسليط الضوء على دور أساطين المال- تحديداً الأخوين تشارلز وديفيد كوك، اللذين قررا الاستثمار في المرشحين اليمينيين على جميع مستويات الحكم الأمريكي لشراء سلطتهم السياسية- في صعود هذا التيار وتكوين حاضنته الاجتماعية الكافية للسيطرة على دوائر صنع القرار الأمريكية تدريجياً، وبالنظر إلى الحالة الأمريكية؛ سواء من حيث طبيعة الداعمين الرئيسيين (أساطين المال ذوي التاريخ الحافل بالتحالف مع النظم الاستبدادية في أوروبا) ، والمرشح الرئاسي الفائز (ملياردير نيويورك دخلي على المؤسسة الأمريكية الحاكمة)، وطبيعة الخطاب السياسي الذي يقدمه اليمين الأمريكي والذي ينحاز

إلى الطبقات الأكثر ثراءً، يصبح من الصعب أن نصف حالة ترمب بالشعبوية، فعلى الرغم من أن العنصرية قد تُعدُّ خطاباً شعبوياً يتبناه أفراد من خارج النخبة، فإن الأجندة السياسية الناشئة لا تتبنى إلا تقليص الإنفاق على برامج اجتماعية كانت تخدم الطبقات الفقيرة والمتوسطة .

رابعاً: خريطة انتشار اليمين المتطرف

منذ مطلع العام ٢٠١٥ حققت أحزاب أقصى اليمين مكاسب قوية في الانتخابات المحلية والإقليمية داخل أوروبا، ولا يقتصر هذا الأمر على عدد قليل من البلدان، بل يمتد من الدول الإسكندنافية الليبرالية في أقصى الشمال، إلى الأطراف الجنوبية للقارة. وبالنظر إلى خريطة توزيع هذه الأحزاب نجد الآتي:

- فرنسا

في فرنسا أُسس حزب الجبهة الفرنسي القومي رسمياً عام ١٩٧٢، وهو أقدم أحزاب اليمين الأوروبي، إلا أنه لم يصبح حزباً سياسياً راسخاً إلا في الثمانينيات .

والحزب ترأسه حالياً ماريان لوبان، وتبدو هذه مفارقة؛ فالدراسات القليلة التي أجريت على الأعضاء الرفيعين بالحزب عام ١٩٨٨ أشارت إلى ضعف مشاركة النساء في الحزب، ولم يجتذب الحزب عناصر شبابية إلا بعد ١٢ عاماً من تأسيسه، لكن ماريان لوبان هي الابنة الصغرى لجان ماري لوبان (مؤسس الحزب نفسه)، وعممة ماريون مارشال لوبان- السياسية الفاعلة بحزب الجبهة- التي هي ابنة صامويل مارشال، زعيم حركة شباب حزب الجبهة، هذا البناء الأوليغاركى يتماشى كثيراً مع الدراسات التي ترى أن فرص الوصول إلى النخب السياسية للأحزاب اليمينية ينحاز إلى أبناء العائلات النشطة سياسياً .

وقد ورثت لوبان شعبية أبيها في المناطق التي اكتسب فيها لوبان الأب دعم المستوطنين الفرنسيين العائدين بعد استقلال الجزائر. وفي دراسة أجريت في التسعينيات، طُلب من أعضاء حزب الجبهة أن يحددوا موقعهم على مقياس من ١٠ درجات يحدد درجة انتماء الشخص إلى اليمين أو اليسار، فكانت النتيجة أن اختار أعضاء الحزب المشاركون لأقصى اليمين، بمتوسط ٩,٤ من ١٠، إضافة إلى أن معظم أعضاء الحزب قد أفصحوا عن انتمائهم لحركة العمل الفرنسية (Action Francaise) القديمة، ويتبنى حزب الجبهة حالياً خطاباً شعبوياً عدائياً ضد المهاجرين، ويسعى لتقليل الإعانات المقدمة للمهاجرين؛ مثل الرعاية الصحية، ودعت رئيسته لإجراء استفتاء حول عضوية فرنسا في الاتحاد الأوروبي بعد الاستفتاء البريطاني الأخير. هذه النزعة القومية التي تضع الفرنسيين البيض أولاً قد آتت أكلها خارج المدن الرئيسية، تحديداً فيما يدعى بفرنسا (المهمشة)

التي تعيش على الأطراف، وتشهد معدلات عالية من البطالة بين سكانها .

وقد حصل الحزب على ٢٧٪ من الأصوات في الانتخابات البرلمانية التي عقدت في ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٥، وتمكنت رئيسته من التأهل للجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية، قبل أن تخسر بنسبة ٣٤,٥٪ أمام إيمانويل ماكرون (الذي حصد ٦٥,٥٪ من الأصوات)، ويتوقع من حزب الجبهة- بعد هزيمة لوبان- أن يعيد تنظيم صفوفه، ويقدم نفسه للرأي العام الفرنسي في ثوب جديد أكثر قدرة على جذب فئات أوسع من الفرنسيين، وربما يشهد الحزب تغييراً كاملاً لاسمه القديم .

سياسات الحزب :

- خفض معدلات الهجرة (الشرعية) السنوية من ٢٠٠,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠، وحظر حقوق الهجرة المكتسبة تلقائياً بسبب إقامة الزوج أو أحد الأقارب شرعياً في فرنسا، وإلغاء قوانين منطقة شنغن الأوروبية التي تسمح بانتقال حر بين حدود دول الاتحاد الأوروبي (يتوقع أن يكون لذلك أثر مهول على المهاجرين من غرب وشمال إفريقيا، أي المغرب العربي).

- زيادة بوليسية الدولة؛ من خلال زيادة تمويل وزارة العدل بنسبة ٢٥٪، وإنشاء ٤٠,٠٠٠ سجن جديد، وترحيل المجرمين من الأصول الأجنبية ليقضوا مدة حبسهم في الخارج، وإعطاء الفرنسيين حق الاختيار بين وضع أحكام بالسجن مدى الحياة وبين إعادة حكم الإعدام (بعد ٣٦ عاماً من إلغائه)، وكذلك منح الشرطة شرعية أكبر في استخدام العنف ضد المشتبه فيهم، وسلطة أكبر في مراقبة الهواتف ووسائل الاتصال بالإنترنت.

- اقتصار الدعم الأسري- ومن ضمنه دعم الأطفال- على الأسر الفرنسية فقط، وعرقلة قوانين زواج مثليي الجنس والتبني، ولكن السنوات القليلة الماضية شهدت تجنب لوبان للموضوعات الاجتماعية بوصفها مرتكزاً لخطاب الحزب، ويرى كثيرون أنها آثرت ذلك لخفض وطأة الخطاب الصلف الذي يتبناه حزبا .

- إعادة التفاوض حول معاهدات الاتحاد الأوروبي كافة (ربما لن تحظى هذه المساعي بكثير من التأييد؛ إذ إن خمس الفرنسيين فقط يؤيدون الخروج من الاتحاد الأوروبي، بل وحتى ٦٠٪ فقط من أنصار حزب الجبهة) ، ومنح القوانين المحلية الأفضلية على القوانين الأوروبية. وعلى الرغم من معارضة الحزب للتجانس الأوروبي المتزايد، فإنه يؤمن بضرورة خلق اتحاد ذي نزعة أوروبية قومية، مؤلف من دول ذات سيادة، والدعوة إلى ضم روسيا وسويسرا إلى الاتحاد (ولكن رفض دخول تركيا)، وإقامة تحالف ثلاثي بين فرنسا وألمانيا (حزب البديل من أجل ألمانيا) وروسيا في ظل حكم بوتين.

وعلى النقيض من اليمين الأمريكي وبعض أحزاب اليمين الأوروبي، يتبنى حزب الجبهة برنامجاً يميل إلى اليسار قليلاً في الجانب الاقتصادي، فالحزب يهدف إلى خفض ضريبة

القيمة المضافة إلى ٥, ٥ فقط من السلع الأساسية، مقابل رفعها على السلع الترفيهية، كما يهدف إلى تبسيط الكود الضرائبي ليطضمن سقفاً لضريبة الدخل تصل نسبته إلى ٤٦٪ لدى الفئات الأعلى دخلاً، بالإضافة إلى خفض ضريبة التوظيف، فضلاً عن دعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

وتعد العلاقة بين حزب الجبهة الفرنسي وروسيا فريدة من نوعها في حالة اليمين الأوروبي، فعلى عكس اليمين البولندي (حزب القانون والعدالة) الذي يعادي الهيمنة الروسية، يتبنى الجبهة رؤية قريبة من روسيا، وهو ما أثار تساؤلات حول دور روسيا في تقديم لوبان إلى الرأي العام على أنها زعيمة عالمية (إذ زارت لوبان موسكو في مارس/آذار ٢٠١٧، قبل شهر واحد فقط من الانتخابات)، وكانت لوبان قد ساندت الدور الروسي في جزيرة القرم الأوكرانية، وعلى الرغم من علاقتها القديمة باليمين الروسي (متمثلاً في زعيمه فلاديمير جيرينوفسكي)، فإنها استطاعت تطوير علاقة جيدة مع بوتين، الذي يعد أكثر وسطية واستعداداً للشمول الروسي، ويرى بوتين أن نجاح لوبان سيساعد في تفكيك الاتحاد الأوروبي. واستطاعت لوبان أن تحصل على قرض بقيمة ٩, ٤ ملايين يورو من أحد البنوك الروسية، بعدما امتنعت البنوك الفرنسية عن المغامرة بإقراض حزبها.

ألمانيا

تمكن حزب (البديل من أجل ألمانيا)، الذي كان قد نشأ عن حركة احتجاجية (٢٠١٣) معادية للعملة الأوروبية الموحدة، من الحصول على نسبة ٢٥٪ من الأصوات في انتخابات الولايات الألمانية في مارس/آذار الماضي، بعد أن أخفق مسبقاً، في ٢٠١٣، في الحصول على أي مقاعد برلمانية، وأصبح - حسب بعض الاستطلاعات - ثالث أكثر الأحزاب شعبية داخل ألمانيا، إلا أنه من المتوقع أن يكون أول الأحزاب اليمينية المتطرفة التي تصل إلى البرلمان الألماني منذ الحرب العالمية الثانية، وذلك بعد استطلاعات للرأي أظهرت حصوله على ١٠-١٢٪، ومن المتوقع أن تسهم هذه النتائج في إعاقة السياسة الألمانية القائمة على الإجماع، وأن تتسبب في خلق مزيد من الاستقطاب والتفتت قبل الانتخابات الفيدرالية المرتقبة .

كذلك برزت في ألمانيا حركة (بيجيديا) التي تعرف نفسها بأنها حركة مواطنين أوروبيين ضد أسلمة الغرب، وقد نظمت العديد من التظاهرات المعادية للمهاجرين المسلمين واللاجئين، وأُتهمت بأكثر من حادث عنف ضد المسلمين.

كانت بداية الحزب عندما أسس ألكساندر جولاند، وهو وزير خارجية سابق لولاية هسن؛ وبيرنرد لوك، وهو اقتصادي؛ وكونراد آدام، وهو محرر سابق لصحيفة فرانكفورتز آلجيماين تسايتونج، وكبير مراسلي صحيفة دي فيلت (العالم)، مجموعة

انتخابية أسموها البديل الانتخابي ٢٠١٣ في بلدة باد نواهيم بولاية هسن لمواجهة السياسات الفيدرالية الألمانية فيما يتعلق بأزمة منطقة اليورو.

تبنى برنامجهم الانتخابي ٦٨ اقتصادياً وصحفيًا ورجل أعمال، نصفهم كانوا من الأساتذة الجامعيين، وقد رأَت المجموعة أن منطقة اليورو أثبتت أنها غير مستدامة كمنطقة عملة، وأن دول جنوب أوروبا «تغرق في مستنقع الفقر تحت الضغط التنافسي لليورو» .

بعد عامين تمكنت فراوك بيتري من الإطاحة بحليفها السابق بيرند لوك، وقادت الحزب إلى مجموعة من النتائج المبهرة في انتخابات الولايات؛ من خلال المعارضة الشديدة لسياسات المستشار أنجيلا ميركل المتعلقة باللاجئين.

أسس البديل من أجل ألمانيا بصفته حزباً يمينياً محافظاً، مع مسحة من التشكك في الاتحاد الأوروبي، فهو لا يعارض عضوية ألمانيا في الاتحاد، لكنه يعارض المزيد من الاندماج بين أعضائه، ووجود العملة الموحدة، وحزم الإنقاذ لدول مثل اليونان. ويدعو الحزب أيضاً إلى ديمقراطية مباشرة على النمط السويسري، وحل منطقة اليورو، ويعارض الهجرة وزواج المثليين .

بحلول مايو/أيار ٢٠١٥ أصبح الحزب منقسماً إلى مجموعتين؛ الأولى يقودها لوك، وتركز على سياساته الاقتصادية الأساسية، والثانية تقودها بيتري، التي فضلت نهج معاداة الهجرة. كانت النتيجة هي خروج فصيل لوك وتأسيس حزب جديد: التحالف من أجل التقدم والتجديد، والذي أعيدت تسميته في نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٦ ليصبح (الإصلاحيون المحافظون الليبراليون) .

في الأشهر الأخيرة، ومع أفول أزمة اللاجئين، انخفضت شعبية الحزب إلى أقل من ١٠ بالمئة في استطلاعات الرأي. وفي الثاني والعشرين من أبريل/نيسان هُزمت بيتري في مؤتمر الحزب بمدينة كولونيا، على يد ألكسندر جاولاند المحسوب على المحافظين، والذي كان قد ساعدها في الإطاحة بلوك .

كان الأثر الأكبر للحزب وموجة المعارضة التي قادها هو تراجع المستشار الألمانية أنجيلا ميركل عن سياسة (الباب المفتوح) التي انتهجتها تجاه أزمة اللاجئين، لكن وبسبب تركيزه على قضايا داخلية، وعدم مشاركته في الحكومة الألمانية، لم يكن له تأثير في علاقة ألمانيا بالدول العربية حتى الآن.

بريطانيا

وفي بريطانيا يعد حزب الاستقلال أبرز الأحزاب اليمينية المتطرفة، وفي ٢٠١٤ أصبح أول حزب، منذ ١٠٨ أعوام، يتصدر نتائج الانتخابات البريطانية على حساب حزب المحافظين أو حزب العمال البريطانيين. وقد أسس هذا الحزب عام ١٩٩٣ بصفته حزباً معارضاً

للاتحاد الأوروبي، وأجاد استخدام خطاب الخوف من الهجرة، وتجلت الظاهرة في لوحة انتخابية إعلانية تشير إلى الناخبين البريطانيين، ويصاحبها ادعاء بأن هناك ٢٦ مليون أوروبي عاطل يسعون إلى مزاحمة البريطانيين في وظائفهم .

والحزب، رغم خطابه العاطفي الذي يخبر الناخب بأنه الوحيد الذي ينحاز لحقه في تأمين مستقبله بعدما تخلت عنه الأحزاب الكبرى، يتناول خوفاً أشد عمقاً ووجوداً داخل مجتمع يشهد تأزماً اقتصادياً وتزايداً في معدلات البطالة. وتشير العديد من التقارير إلى ارتفاع نجم الحزب، خاصة بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، ومن المتوقع حصده المزيد من المقاعد في الانتخابات المقبلة.

النمسا

في النمسا يشكل حزب الحرية اليميني ٤٠ مقعداً من أصل ١٨٣ مقعداً في المجلس الوطني، وشعار الحزب (النمسا أولاً)، وقد ارتكزت حملة نوربرت هوفر الرئاسية على تقليل المنافع التي يحصل عليها المهاجرون، وإعطاء النمساويين الأولوية في العمل. وتعد انتخابات الرئاسة النمساوية الأخيرة مثلاً على توغل اليمين المتطرف، إذ تصدر نوربرت هوفر، مرشح حزب الحرية اليميني المتطرف، الجولة الأولى للانتخابات الرئاسية، في أبريل/نيسان ٢٠١٦، بحصوله على ٤٠,٣٦٪ من الأصوات، وعلى الرغم من أنه خسر في جولة الإعادة التي جرت في مايو/أيار الماضي أمام مرشح حزب الخضر فان دير بيلين، فإن خسارته كانت بفارق ضئيل جداً لم يتجاوز بضعة آلاف من الأصوات.

وفي بولندا حصل حزب القانون والعدالة اليميني في الانتخابات البرلمانية التي عقدت في ٢٠١٥، على نسبة ٣٩٪ من الأصوات، جعلته يدخل الحكومة، ومكنته من تطبيق قانون يسمح له بالسيطرة على مقدمي البرامج في الإعلام الحكومي، وكذلك كبار مديري الخدمة العامة داخل البلاد، لكن متابعة الساحة السياسية البولندية حالياً توحى بتقوض شعبيته مع نشأة الحركات الاحتجاجية التي يقوضها غريمه السياسي؛ حزب (المنصة المدنية) .

وتتركز معظم تحفظات الحزب إزاء الاتحاد الأوروبي على معاهدة لشبونة، وأزمة اللاجئين، وعلى غرار أحزاب اليمين الأوروبي الأخرى، يؤمن اليمين البولندي بضرورة تقوية الدول القومية الأوروبية، وتقليل السلطة القضائية المخولة للاتحاد، ولكن على النقيض من حزب الجبهة الفرنسي، يبدو أن حزب القانون والعدالة البولندي يتخذ موقفاً عدائياً إزاء روسيا، ووصل العداء إلى اتهام بوتين بإسقاط طائرة الرئيس البولندي السابق (ليخ كاتشينسكي)- مؤسس الحزب- في ٢٠١٠، وقد نتج عن صعود حزب القانون والعدالة أن توترت العلاقات البولندية الإسرائيلية، نظراً لاقتناع مسؤولي الحزب بوجود مؤامرة يهودية، بل وأبدى أنتوني ماتشيرفيتش-وزير الدفاع البولندي- اهتمامه

ببروتوكولات حكماء صهيون، واقتناعه بوجود مجموعات كهذه داخل الدوائر اليهودية، ولكن هذه الاتهامات المعادية للسامية لم تمنع من استكمال التعاون بين البلدين، وإبرام صفقة أسلحة بمبلغ مليار دولار .

وفي المجر سيطر حزب فيدس وفكتور أوربان اليميني على آخر ثلاثة انتخابات، مما جعل بعض الدول الأوروبية تتهم النظام المجري بالنظام الشمولي، وفي ٢٠١٤ تمكن حزب جوييك اليميني المتطرف، المعادي للمهاجرين، من الحصول على ٢٠٪ من الأصوات في الانتخابات البرلمانية، وهو ما جعله ثالث أكبر الأحزاب في المجر، والجدير بالذكر أن الحزب يدعو لإجراء استفتاء أيضاً حول العضوية في الاتحاد الأوروبي .

وفي السويد تمكن حزب (ديمقراطيو السويد) اليميني المتطرف، في سبتمبر/أيلول ٢٠١٤، من الحصول على نسبة ١٣٪ من الأصوات في الانتخابات البرلمانية، ويدعو الحزب إلى وضع قيود كبيرة على الهجرة، وإجراء استفتاء حول عضوية السويد في الاتحاد الأوروبي .

وفي الدنمارك، حقق حزب الشعب الدنماركي، في الانتخابات العامة ٢٠١٥، أفضل نتائجه منذ تأسيسه، بعد أن أتى في المرتبة الثانية بنسبة ٢١٪ من الأصوات، ويتحكم الحزب في ٣٧ مقعداً من أصل ١٧٩ بالبرلمان، ولكن تأثيره الشعبي دفع السياسة الدنماركية لتبني سياسات قاسية ضد اللاجئين، بعد أن صدر قانون يفرض الأمن بالاستيلاء على أي متعلقات شخصية غير أساسية وليست لها قيمة عاطفية، إذا زادت قيمتها على ألف يورو .

وفي اليونان دخل حزب الفجر الذهبي، أبرز الأحزاب اليمينية المتطرفة في اليونان، في ٢٠١٢، البرلمان بـ ١٨ مقعداً، ووصفه المجلس الأوروبي لحقوق الإنسان في ٢٠١٢ بالنازي الجديد؛ إذ إن له نظرة متشددة تجاه المهاجرين، ويرى أن الاتحاد الأوروبي سبب «دمار اليونان» .

وبينما كان تركيز حزبي ديمقراطيو السويد والشعب الدنماركي على مواجهة الهجرة في خضم أزمة اللاجئين التي عصفت بدول الاتحاد الأوروبي، يركز حزب الفجر الذهبي على قضايا الاقتصاد والبطالة والتشرف إلى جانب الهجرة، حيث تعد تلك القضايا أهم ما يشغل الناخب اليوناني وسط أزمة اقتصادية تلقي بظلالها على جميع مناحي الحياة في البلاد .

كانت بدايات حزب الفجر الذهبي عام ١٩٨٠، عندما نشر نيكولاس ميكالولياكوس، مؤسس الحزب وزعيمه، الإصدار الأول لصحيفته التي حملت الاسم نفسه، وكانت تدعو إلى عودة الديكتاتورية العسكرية اليمينية إلى حكم البلاد .

أسس الحزب رسمياً عام ١٩٩٣، وفي عام ٢٠١٥ أعلن (خطةً قومية) كان من أهم ما جاء بها هو شطب جزء من الديون اليونانية بعدها غير قانونية، ومطالبة ألمانيا برد دين أُجبرت عليه اليونان خلال الاحتلال النازي لها في أثناء الحرب العالمية الثانية، ورفع الحصانة عن أعضاء البرلمان، وطرد جميع المهاجرين الذين دخلوا إلى اليونان على نحو غير قانوني، وتأميم الموارد الطبيعية والبنوك التي تلقت قروضاً حكومية .

وفي سويسرا يشار إلى صعود نجم اليمين المتطرف بتعبير (الانزلاق الصحيح) (rechtsrutsch)، وهي الظاهرة التي وصلت إلى ذروتها بنجاح حزب الشعب السويسري اليميني أخيراً في تحقيق أفضل نتائج الانتخابية على مدى قرن كامل، بعدما نجح في الحصول على ٣٠٪ من الأصوات ليصبح القوة السياسية الأكثر نفوذاً في المجال العام السويسري الآن .

سادساً: اليمين المتطرف ودوره في خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي

شهدت بريطانيا، قبل الأشهر التي سبقت الاستفتاء، صعوداً واضحاً للتيار القومي البريطاني الذي تصدر حملة الخروج من الاتحاد الأوروبي، والذي راح يروج للخصوصية، والهوية، والاستقلال السياسي والاقتصادي لبريطانيا، وبدا وكأن التيار اليميني يحاول إعادة لقبها القديم إليها (بريطانيا العظمى). كان ذلك في مقابل مقاربة التنوع والاندماج والتكامل الأممي التي طرحها الاتحاد الأوروبي ومؤيدو البقاء، كانت النبذة الطاغية في الدعاية اليمينية ترتبط بشكل كبير بمسألة الهجرة المتزايدة، والحدود التي انفتحت على الشرق الأوروبي الفقير، ومن ثم تأثير هذين الأمرين في الأمن والاقتصاد .

وخلال الجدل السياسي الذي كان محتتماً بين الطرفين، كان من الصعب على مؤيدي البقاء الإجابة عن تساؤلات مقلقة حيال الأمن، ومكافحة الإرهاب، والهجرة، وتدني معدلات الفائدة، والتضخم، والاستقلال الاقتصادي. هذا الجدل وضع الناخب البريطاني أمام فهم آخر لجدليات الهوية متمثل في السؤال: هل نحن البريطانيين أقرب ثقافياً واجتماعياً إلى الكتلة السكانية في أمريكا الشمالية أم أقرب إلى الكتلة السكانية في أوروبا؟ هل نحن أقرب إلى الأمريكيين أم إلى القبارصة على سبيل المثال؟ لترسم الإجابة عن هذه التساؤلات الذهنية الصورة النهائية للاستفتاء. «واستدعى اليمين المتطرف عدم تنفيذ الاتحاد الأوروبي مطلب بريطانيا بوضع آلية للتحكم في حركة المهاجرين الوافدين إليها من بلدان شرق أوروبا الفقيرة» .

الاستفتاء الذي أعلن صراحة انحياز البريطانيين- حتى ولو بأغلبية صغيرة جداً- لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، يؤكد- بلا شك- قوة المد اليميني في بريطانيا؛ معقل أوروبا، وثاني أكبر قوة في القارة العجوز بعد ألمانيا، وإحدى الدول الكبرى النووية، وصاحبة العضوية

الدائمة في مجلس الأمن، وكانت قضية اللاجئين الفارين إلى الدول الأوروبية إحدى القضايا الرئيسية التي أسهمت في رفع رصيد التيار اليميني عند الناخبين الإنجليز. تداعيات خروج بريطانيا على مستوى الاتحاد الأوروبي يُرجح أن تكون كبيرة أيضاً، على الرغم من محاولات احتوائها، فمع خروجها سيفقد الاتحاد الأوروبي ١٢,٥ في المئة من سكانه، وقاربة ١٥ في المئة من قوة اقتصاده، إضافة إلى الاستغناء عن قوة عسكرية ذات تأثير مهم في الأمن الأوروبي. أما فيما يتعلق بعملية صنع القرار في الاتحاد الأوروبي، فإنَّ خروج بريطانيا سوف يستدعي إعادة النظر في آليات اتخاذ القرار داخل مؤسسات الاتحاد؛ إذ إنَّ خروجها سوف يؤدي إلى فقدان ٢٩ صوتاً من الأصوات في مجلس الوزراء الأوروبي، وكذلك ٧٣ مقعداً في البرلمان الأوروبي (٨,٥ في المئة من الوزن النسبي للتصويت)؛ وهو ما يتطلب إعادة تحديد الحد الأدنى للأغلبية المؤهلة، ومن ثم سيؤدي حتماً إلى تغيير في توازن القوى لمصلحة الدول الكبرى التي تمتلك تمثيلاً أكبر في مؤسسات الاتحاد في عملية صنع القرار الأوروبي (ألمانيا وفرنسا وإيطاليا) .

ومن الناحية الاستراتيجية، سيؤدي خروج بريطانيا إلى زيادة الضغوط على المحور الألماني-الفرنسي لزيادة إنفاقهما العسكري؛ بهدف احتواء تأثير الغياب البريطاني على السياسة الدفاعية والأمنية الأوروبية. كما تنتمي الخشية الأوروبية من انتشار عدوى الاستفتاءات في أوروبا، بما يدفع الأحزاب اليمينية إلى المطالبة بأن تحذو حذو بريطانيا، وبخاصة في الدول التي تعاني أزمات اقتصادية (اليونان، وإسبانيا، والمجر، وإيطاليا). إنَّ هذا الأمر سيهدد عملية التكامل برمتها، ويفاقم من حدة الشكوك حول قدرة الاتحاد على الصمود .

خامساً: صعود اليمين ونهاية الاتحاد الأوروبي

بعد الاستفتاء الذي صوت فيه الشعب البريطاني للخروج من نادي الاتحاد الأوروبي، يُخشى بالتأكيد من موجة خروج لدول أخرى، وقد تؤدي بعد ذلك هذه الموجة إلى تفكك الاتحاد الكبير الذي يتسبب مباشرة في تشظي أوروبا، وتدعيم قوة روسيا التي تناصب الاتحاد الأوروبي العداء، الحليف التقليدي والأقرب سياسياً واقتصادياً وعسكرياً للولايات المتحدة الأمريكية، والذي كان قبل أشهر- بقيادة ألمانيا- قد لقن روسيا درساً بعقوبات اقتصادية بسبب ملف التدخل الروسي في أوكرانيا.

يؤكد المراقبون أن التشظي الأوروبي بلغ ذروته بعد ظهور الحركات الشعبوية اليمينية المتطرفة على السطح الأوروبي، مجتمعة على انتقاد بروكسل، وهو ما يعني أن القرار البريطاني بالانفصال عن الاتحاد ليس الأول ولن يكون الأخير، ويُعتقد أن الاستفتاء البريطاني لو تكرر في عدد من العواصم الأوروبية في الغد فإن النتيجة لن تختلف كثيراً

عن اليوم في بريطانيا، وهو ما يعزوه البعض إلى تفول البرلمان الأوروبي على الوحدات الأوروبية الداخلية، حيث بات برلمان بروكسل الأوروبي هو المتحكم في صياغة السياسة الأوروبية من الألف إلى الياء، بحيث شعر المواطن الأوروبي أنه لا يحكم نفسه كما كان يعتقد حتى منتصف الثمانينيات، وهو ما أسهم في ظهور النزعة التي نفّرت من الإجماع الأوروبي بصورته الحالية، وقد ظهر ذلك جلياً في أزمة الهجرة واللاجئين، حيث بدأت كل وحدة أوروبية تواجه المشكلة بسياساتها الخاصة رغم تحذير المفوضية الأوروبية من ذلك، وهو ما يعني أن الاتحاد بدأ يتفكك فعلياً، حتى وإن ظل الشكل الخارجي ثابتاً .

واقعيّاً، وفور إعلان نتيجة الاستفتاء في بريطانيا، التي تؤيد خروجها من الحلف الكبير للقارة العجوز، انتاب الذعر القطاع السياسي المشكل للاتحاد الأوروبي؛ فرتيس البرلمان الأوروبي، مارتن شولتز، سرعان ما حذر من خطوات مماثلة لخطوة بريطانيا، وقال: لا شك في أن المفوضية الأوروبية تعيش الفرصة الأخيرة لإقناع المواطن الأوروبي بجدوى المشروع الأوروبي الوجودي، «ففي الماضي كان ينظر إلى أوروبا على أنها ضمانة للأمن والسلام والثروة وفرص العمل، واليوم ينظر إليها على أنها سبب كل المشكلات، وسواء كان ذلك صحيحاً أم لا، فإنه يظل مجرد تصور».

والمح شولتز إلى أن «كثيراً من الدول والحكومات في الاتحاد الأوروبي تتصرف مثل ديفيد كاميرون، رئيس وزراء بريطانيا السابق، وقت استفتاء الانسحاب من الاتحاد، وتشارك في لعبة إلقاء اللوم على الآخرين، وهي لعبة مستمرة منذ ٢٠ عاماً، تسببت في وجود قناعة لدى المواطن الأوروبي بأن النجاح يتحقق على الصعيد الوطني، وأن الإخفاق يكون أوروبياً، وهذا ما أدى إلى تدمير صورة أوروبا، وإذا لم ننجح في عكس هذا التصور خلال السنوات الخمس المقبلة التي ستتولى فيها المفوضية الجديدة عملها، فإن الاتحاد الأوروبي سوف ينهار». واستطرد يقول: «يمكن أن نفعل ذلك من خلال توفير الحلول، والعمل الجماعي للدفاع عن أوروبا من جانب كل المؤسسات والدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي».

وحذر شولتز من أنه «إذا انهار الاتحاد الأوروبي فإن الصورة التي كانت عليها أوروبا في مطلع القرن الماضي ستعود بشكل سريع، وسمعوا لما يتردد على لسان الذين يريدون تدمير أوروبا، تسمع القومية وكرهية الأجانب، ومعاداة السامية، والعنصرية، وستجد هؤلاء في كل بلد، وكان هذا هو الخطاب في النصف الأول من القرن الماضي، وأسفر عن تنامي الحركة الفاشية، والبلشفية، والحرب الأهلية الإسبانية، وحربين عالميتين» .

وقد «عبرت الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا عن سعادتها البالغة بنتيجة الاستفتاء البريطاني، وأعلن العديد من تلك الأحزاب سعيه لتكرار التجربة البريطانية حال توليهم زمام السلطة، واستغلت تلك الأحزاب الأمر في مزيد من الدعاية لنفسها ولأفكارها، حيث يحمّل زعماء الأحزاب اليمينية المتشددة أوروبا مسؤولية مشاكل بلدانهم، فالقوى المتطرفة

تتفق على رفض البناء الأوروبي الحالي، وتستغل الغضب الشعبي من قواعد الاتحاد الأوروبي التي أصبحت تتحكم حتى في الحياة العادية للمواطنين، لذلك تركز الأحزاب والكيانات اليمينية حملاتها الانتخابية على التنديد بأوروبا .

أعطى تأييد بريطانيا للانسحاب من الاتحاد الأوروبي في الاستفتاء زخماً للأحزاب الشعبوية المشككة في الاتحاد الأوروبي في أنحاء القارة، وتجددت معه الدعوات إلى الرحيل عن التكتل أو عن منطقة اليورو، وطالبت أحزاب يمينية مناهضة للهجرة في هولندا والدنمارك والسويد وفرنسا، بإجراء استفتاءات على عضوية الاتحاد الأوروبي، في حين قالت حركة خمسة نجوم الإيطالية إنها ستضع مقترحاً خاصاً بها للتصويت على العضوية في منطقة اليورو .

فقد قال خيرت فيلدرز، زعيم حزب الحرية الهولندي المناهض للهجرة، إنه سيجعل من استفتاء هولندي على عضوية الاتحاد الأوروبي محوراً لحملة كي يصبح رئيس الوزراء في الانتخابات البرلمانية المقبلة، مهنئاً الشعب البريطاني على هزيمة النخبة السياسية في لندن وبروكسل، معتقداً أن بإمكان الهولنديين فعل الشيء نفسه، ومطالباً بإجراء استفتاء لخروج هولندا في أسرع وقت ممكن؛ لأنه لم يعد هناك مستقبل للاتحاد الأوروبي بعد الآن .

ودعا حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف في فرنسا أيضاً إلى استفتاء فرنسي على عضوية الاتحاد الأوروبي، وهلل لنتيجة الاستفتاء البريطاني التي يأمل أن تعزز أجنده المشككة في الاتحاد الأوروبي، واحتفلت زعيمة الحزب، مارين لوبان، بنتيجة الاستفتاء البريطاني؛ بتغيير صورتها على تويتر إلى صورة العلم البريطاني، قائلة: «النصر للحرية! الآن نحن بحاجة لإجراء الاستفتاء ذاته في فرنسا وفي دول أخرى بالاتحاد الأوروبي»، مؤكدة أنها إذا فازت في الانتخابات الرئاسية المقبلة فستبدأ على الفور مفاوضات بشأن عدد من قضايا السيادة، من ضمنها العملة الموحدة، وإذا أخفقت هذه المفاوضات فستطلب من الناخبين أن يصوتوا للانسحاب من الاتحاد الأوروبي.

ودعا حزب الشعب الدنماركي الشعبوي، المناهض للهجرة، والمتحالف مع الحكومة التي تميل لليمين، أيضاً لإجراء استفتاء على عضوية الدنمارك في الاتحاد الأوروبي. وكذلك في السويد قال حزب الديمقراطيين السويديين المناهض للهجرة، الذي يتمتع بدعم نحو 17 بالمئة من الناخبين- وفقاً لاستطلاع رأي أجري الشهر الماضي- إنه سيزيد الضغط من أجل التغيير. ودعا حزب الحرية اليميني المتطرف في النمسا لاستقالة رئيسي المفوضية الأوروبية والبرلمان الأوروبي بعد تصويت بريطانيا، وقال إنه قد يدعو أيضاً لاستفتاء ما لم يجر إصلاح الاتحاد .

ووصفت حركة خمسة نجوم، ثاني أكثر حزب يتمتع بشعبية في إيطاليا، النتيجة بأنها درس في الديمقراطية، ووعده بالسعي لطرح مقترحه الخاص لاستفتاء إيطالي على اليورو،

وتحدث حزب الرابطة الشمالية اليميني، وهو عضو في المعارضة التي تنتمي لتيار يمين الوسط بشكل أكثر صراحة، وقال ماتيو سالفاني، زعيم الحزب: «شكراً لبريطانيا العظمى، الخطوة المقبلة هي دورنا» .

ووصفت دعوات الدول الأوروبية للسير على خطا بريطانيا، من محللين سياسيين، بالخطيرة والجادة، وأنها خطوة قد تؤدي إلى انهيار الاتحاد الأوروبي الذي يعاني اليوم أزمة وجود، كما تعاني بريطانيا من أزمة ثقة، ولن يساعد انسحابها - أي بريطانيا - من مؤسسات الاتحاد الأوروبي على الخروج من مأزقه، ولن يساعد بريطانيا على التحرر والانطلاق بعيداً عن المؤسسات الأوروبية، وأن هذا الانسحاب قد يشكل بداية لانفراط العقد الأوروبي، الذي قد يمهّد الطريق أمام عودة الفاشية من جديد .

سادساً: خطورة المد اليميني على مستقبل الديمقراطية

تواجه الأحزاب الليبرالية واليسارية ذات التوجهات الديمقراطية حول العالم أزمة عميقة تتبدى بانحسار هيمنة أحزابها، وتبدد جاذبية قيمها التي بدا خلال العقدين الماضيين أنها انتصرت للأبد. فإن كان لا يمكن التنبؤ بالمستقبل، فإن الحاضر يتجه بثبات نحو المزيد من الرجعية، ومزيد من هيمنة الفاشية على مدن العالم وحواضره. ولا يستطيع البشر الذين عايشوا موجة الربيع العربي قبل خمس سنوات فقط، أن يتوقعوا السيناريو الذي يمر به العالم الآن، فالديمقراطية كادت تطرق أبواب المنطقة المشهورة بحكم الديكتاتوريات، وفجأة تقلب القضية، ويعيش العالم مع المنطق كابوس الزحف اليميني المحمل بأفكار عتيقة عن الآخر الغريب، والانكفاء على الذات، والثقافة الواحدة، والمهاجرين الأشرار.

لا تكمن أزمة الديمقراطية الليبرالية في صعود اليمين فحسب، بل باتضح أن قيمها التي طالما فاخرت بها ليست راسخة في وعي المجتمعات الغربية وسلوكها على النحو الذي كان يُعتقد، فالقيم التي تعززت تحت تأثير أفكار وسياسات الديمقراطية الليبرالية التي أصبحت عالمية إلى حد ما، وتعد من منجزات الحضارة الإنسانية: حقوق الإنسان التي فتحت الباب للقبول بحقوق اللاجئين والمهاجرين، لا بل سن قوانين معاملتهم بصورة تفضيلية بصفاتها نوعاً من تأكيد المساواة، وحقوق الرعاية الاجتماعية والصحة والتعليم، وعدم التدخل في شؤون الأفراد السياسية والاجتماعية والدينية، وحقوق المرأة وتحسينها من كل ما يمسها، حتى من التحرش اللفظي، وحقوق الطفل بصفته كائناً مستقلاً عن العائلة، وحقوق المثليين، وأمور كثيرة أخرى، كل ذلك يبدو اليوم مهدداً لا من صعود اليمين فحسب، وإنما من جمهور غربي واسع يبدي عدم ارتياحه المطلق من تلك القيم التي كان ينظر إليها حتى وقت قريب على أنها مسلّمات .

صعود اليمين المتطرف يثير ردود فعل قوية في الأوساط السياسية والثقافية الأوروبية، وتعدد المواقف حسب الاتجاهات السياسية؛ فاليسار السياسي يبدو أكثر انتقاداً لليمين

المتطرف، وأكثر حزماً لمناهضته، في حين يبدي اليمين التقليدي (الليبرالية) ليناً في تعاطيه مع أنصار هذا التيار، ويتفادى وصفهم بالمتطرفين أو العنصريين بقصد كسبهم لجانبه، ذلك أن المصوتين لليمين المتطرف يُدلون عادة بأصواتهم لليمين التقليدي حال غياب ممثلين عن أحزابهم المفضلة، ومن ثم ينتهج اليمين التقليدي سياسة الاحتواء؛ لأن تبدد الموجة المتطرفة تزيد من ثقله الانتخابي. وقد ظهر هذا الموقف بوضوح بين الدورين الأول والثاني للرئاسيات الفرنسية؛ حيث اتسمت مواقف اليمين التقليدي بالاعتدال ومغازلة مصوتي اليمين المتطرف والانتقاد المستبطن للمظاهرات ضد لوبان.

في حين كان اليسار أكثر تشدداً، متهماً اليمين باللعب في ميدان المتطرفين بتبني أطروحاتهم السياسية؛ كالمبالغة في الخطاب الأمني، أما اليمين فيعد الحديث ومعالجة القضايا التي هي حجة اليمين المتطرف المفضلة خير وسيلة لمكافحته وتقزيمه سياسياً. أما الطبقة المثقفة فهي منقسمة على نفسها؛ فمنها من يعدُّ صعود اليمين المتطرف خطراً كبيراً، ومنها من يقلل من شأن هذا الخطر، مؤكداً ضرورة التصدي السياسي للقضايا التي يتلاعب بها المتطرفون، ومعالجتها، لسحب البساط من تحت أقدامهم. وتستغل فئة من المثقفين المعادين للعرب والمسلمين الوضع لتزيد من حدة انتقاداتها للإسلام عموماً، بحجة أن عدم الحديث عن هذا الموضوع يفتح الباب لخطابات عنصرية. ونلاحظ أن بعض الفئات المثقفة تدعي مناهضة الخطاب الشعبوي، لكنها تنتهج خطاباً شعبوياً حين يتعلق الأمر بالإسلام، وذلك على طريقة الخطاب الشعبوي الرسمي للسياسيين، مثل برلسكوني وغيره.

ربما تكون نقطة الالتقاء الأساسية الأولى بين غالبية السياسيين والمثقفين هي تحاشي وصف المصوتين لليمين المتشدد بالعنصريين، وكأنهم يريدون سلك منهج بيداغوجي غرضه فهم وتفهم سلوك معظم هؤلاء لإخراجهم من دائرة التطرف. أما الثانية فتتعلق باستبعادهم فرضية حظر الأحزاب اليمينية المتطرفة على أساس أن خير سبيل لمكافحة نفوذها هو معالجة المشاكل التي تغذيها .

يقول الدكتور عزمي بشارة، مدير المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، إن القوى الليبرالية الغربية تحاول وضع شروط ثقافية على مجتمعاتنا العربية، والتعامل معها على أنها مسلمّات، ويضعونها شروطاً للتعامل مع الدول والنخب الثقافية؛ كالتمييز الإيجابي لقضايا المرأة وحقوق المثليين جنسياً، وهم أنفسهم أخفقوا في تطبيقها العملي في مجتمعاتهم، وهناك موجة تحول نحو اليمين الذي يؤكد الهوية الوطنية، ويكُنُّ العداء للأجنبي، ويرفض مثل هذه المسلمّات، فالديمقراطية الغربية أمام امتحان ترسخ القيم الليبرالية ومدى تجذرها في النخب المسييسة .

سابعاً: الصعود اليميني وتأثيره في السياسات تجاه الشرق الأوسط

صعود اليمين المتطرف لن تنحصر آثاره المدمرة في حدود أوروبا، بل سيجر العالم معه في مساعيه الدامية، وهذه المرة ستكون المحنة أكبر؛ لأن المسلمين أصبحوا يشكلون مكوناً مهماً من المجتمعات الغربية. يضاف إلى ذلك أن العلاقات التي تطورت في السنوات الأخيرة بين أوروبا وبعض دول الشرق الأوسط ستجر المنطقة إلى صراع دموي واسع. الأمر المؤلم أن الجنوح نحو العمل الدولي بعد الحرب العالمية الثانية ضمن مؤسسة الأمم المتحدة، لم يُلغ أسباب التوترات الداخلية في المجتمعات الغربية وغيرها، وعلى الرغم من توافق دول العالم حول حزمة كبيرة من المواثيق الدولية والقوانين التي تنظم شؤون العالم في أوقات السلم والحرب، فإن ذلك لم يمنع القفز عليها والانحدار نحو الطرق المؤدية للخلاف، وربما الحرب. يضاف إلى ذلك أن تلك الحزمة من المواثيق فقدت تدريجياً أثرها في الحياة العامة، وحتى المؤسسات الدولية التي أُسست في العقود اللاحقة؛ كمحكمة العدل الدولية، ومؤسسات حقوق الإنسان، تراجعت أدوارها، بل إن الأمم المتحدة نفسها تعاني من ضعف في الأداء بعد إخضاعها لابتزاز الدول المعادية لسياساتها، وأصبح الأمين العام للأمم المتحدة فاقداً للسلطة الحقيقية، وخاضعاً للضغوط السياسية، خصوصاً من الدول الغربية .

ويمكن حصر تداعيات صعود اليمين العنصري على المنطقة، وكذلك على العرب والمسلمين القاطنين بالغرب، في النقاط الآتية:

أ. تأثير صعود اليمين العنصري على الأزمة السورية

تعد الأزمة السورية أكثر العوامل المؤثرة والمتأثرة بالصعود اليميني بالغرب، فقضية اللاجئين السوريين عنصر أساسي في الصعود اليميني؛ لكون اللاجئين فزاعتهم الأساسية، وكذلك وجود حالة من وحدة الهدف بين اليمين الغربي والنظام السوري الحاكم؛ وهي العداة للعولمة والديمقراطية، وقد عبر اليمين الغربي عن التأييد التام لبشار الأسد بوضوح تام، في أكثر من مناسبة، وفي خطابات متتالية لرموز اليمين الغربي بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

والحقيقة أن العلاقة بين اليمين العنصري ونظام بشار الأسد، ودعم الأول للأخير لا ترجع بدايتها لليوم، فمنذ قرابة عقدين من الزمن، أخذت عدة أحزاب ومجموعات يمينية متطرفة تتسج علاقات مع النظام السوري، فعلى سبيل المثال يمكن ملاحظة التواصل الذي بدأ بين بعض اليمين في فرنسا وبين النظام السوري، وذلك منذ عقد التسعينيات، حيث تتالت الزيارات التي كان أبرزها زيارة فريديريك شاتيون، رئيس المنظمة الطلابية المتطرفة (مجموعة اتحاد دفاع) (Groupe Union Défense) والمقرّب جداً من مارين لوبان الرئيسة الحالية لحزب (الجبهة الوطنية) الفرنسي (Front National)، ولقائه وزير الدفاع السوري آنذاك، مصطفى طلاس، وذلك في عام ١٩٩٤.

أما في العقد الأول من هذا القرن، خصوصاً منذ ٢٠٠٦، فقد ازدادت وتيرة هذه الزيارات، التي كانت تمرّ معظمها في لبنان، حيث جرت العادة أن يعقد الزائرون لقاءات مع الحزب السوري القومي الاجتماعي، حليف النظام السوري، وقد كان فريديريك شاتيبون بالإضافة إلى آلان سورال، من أبرز أولئك الزوار.

لم تقتصر هذه العلاقة على الزيارات الرسمية والمحادثات السياسية فقط، بل تعدّتها إلى عالم الأعمال أيضاً؛ فعلى سبيل المثال أسّست شركة (ريوال) (Riwal) التي يملكها شاتيبون، شركة (ريوال-سوريا) (Riwal-Syria) لتطوير العلاقات الاقتصادية بين شركات سورية وفرنسية وذلك في عام ٢٠٠٩ .

مع بدء الانتفاضة الشعبية في سوريا في ربيع ٢٠١١ بدأ دعم اليمين المتطرف الأوروبي للنظام في سوريا يتوالى ويأخذ أشكالاً مختلفة، وبدأت (ماري لوبان) زعيمة حزب (الجبهة الوطنية) الفرنسي بالظهور على شاشات النظام في نهاية عام ٢٠١٢، وقدمت الدعم للنظام، وكررت روايته عن المؤامرة، وقالت: «الربيع العربي تحول إلى شتاء»، كما أنها وفي أثناء زيارة لها إلى موسكو أثبتت على الدور الروسي في سوريا، وقالت إن «روسيا أنقذت سوريا». وقال آلان سورال، المستشار الأسبق لجون ماري لوبان، عن نظام الأسد بأن الدول في منطقة الشرق الأوسط بحاجة إلى نظام مستبد، وإن هذه البلدان «بحاجة إلى زعيم قبضته حديدية للمحافظة على وحدته» .

ومع مرور الوقت، بدأت المظاهرات اليمينية المتطرفة المؤيدة للنظام تتوالى في العديد من المدن الأوروبية، من روما إلى وارسو إلى جنيف، وشارك فيها عدة شخصيات أوروبية يمينية متطرفة، من أمثال نيك غريفين، النائب في مجلس العموم البريطاني، وفيليب دوفينتر، النائب في برلمان إقليم فلاندرز في بلجيكا، حتى إن هذا الدعم وصل في بعض الحالات إلى الذهاب لسوريا والقتال إلى جانب قوات الأسد، كما صرّح التنظيم النيو-نازي اليوناني (الزنبقة السوداء) (Mavros Krinos) .

في نهاية نوفمبر/تشرين الثاني من عام ٢٠١٤، نشر (نك جريفين)، نائب رئيس تحالف السلام والحرية البريطاني، على صفحة بموقع تويتر صورة من دمشق يظهر بها شاب وشابة يمشيان في سلام بجوار سيارة زفاف مزينة بالورد، وعلق على الصورة قائلاً: «دمشق اليوم، أناس عاديون يستمتعون بحياة طبيعية آمنة، في حين أن الثوار في معاقلم ينشغلون بقطع أصابع المدخنين» .

يدعم اليمين المتطرف بشار الأسد لجملة من الأسباب:

أولاً: يمثل ما يسمى الخطر الإسلامي بمكوناته (سواء ككتلة بشرية ضخمة تحمل هذا الدين قريبة منه جغرافياً، أو تشاركه في إقليمه كالجاليات، أو قيم الإسلام ذاتها التي

يراها تمثل تهديداً لقيمه وثقافته سواء الأوروبية أو الأمريكية) الخصم البارز للحركات اليمينية العنصرية المتصاعدة الآن في الغرب، بل أغلب مجموعات اليمين العنصري تُعدُّ الخطر الإسلامي ملاً فراغ الخطر الشيوعي القديم الذي كان يمثلته الاتحاد السوفييتي، ومن ثم دعم بشار في معركته مع الإسلاميين الذين يواجهونه هناك في سوريا- من وجهة نظرهم- هو بمنزلة درء للخطر الإسلامي الذي وصل صدها إلى أوروبا والولايات المتحدة، سواء في مجموعات إسلامية متطرفة، أو في لاجئين نازحين قد يمثلون خطورة على بلدانهم، كما سبق ذكره.

ثانياً: قيم اليمين العنصري القومية المعادية بالأساس للهجرة؛ فاستقبال تنوعات بشرية أخرى تضر- من وجهة نظرهم- بالمصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمواطن الأوروبي، وتؤثر لاحقاً في التركيبة السكانية الأوروبية. هذا الحضور الغريب، سواء من العنصر الإفريقي أو اللاتيني أو الإسلامي في زعمه- أي اليمين- يعمل على انحطاط الجماعة الأوروبية النقية، ويحد من الوصول إلى تكامل أوثق لمجتمع أنقى!

ثالثاً: دونالد ترمب واليمين الأوروبي هم أقرب لوجهة نظر روسيا، ليس فقط فيما يتعلق بسوريا وحرب بشار على ما يسمونه الخطر الإسلامي وحسب، فاليمين العنصري عموماً معادٍ لقيم الديمقراطية المؤيدة لحقوقٍ فردية وجماعية أكبر، ويميل إلى فرض دور أكبر للدولة والهوية القيمية والجماعية، وهي مكونات فكرية ورؤى يشترك فيها الخط الناظم، سواء الروسي من جهة أو اليمين الأوروبي ودونالد ترمب من جهة أخرى.

ب. صعود اليمين العنصري وتصاعد الإسلاموفوبيا

يمكن القول إن أول من يدفع فاتورة صعود اليمين العنصري هم الجاليات المسلمة في الغرب؛ فقد تصاعدت ظواهر الإسلاموفوبيا (التخويف من الإسلام) واستهداف الخصوصيات الإسلامية، خصوصاً ظاهرة الحجاب، بصفتها إحدى تداعيات دعاية اليمين العنصري في الدول الغربية، وتعرض العقيدة والمقدسات الإسلامية للاعتداء؛ بالتهكم الإعلامي، والرسوم الكرتونية، والقوانين الموجهة ضد المسلمين، ومنها استهدافهم في المعابر بالتنقيش والإهانات، والاعتداء على مساجدهم .

كذلك تمثل أزمة اللجوء السياسي أهم مستجدات الوضع الأوروبي حالياً، وتشكل شرعية كبيرة لسياسات أحزاب اليمين تجاه المهاجرين الوافدين، ويتسق ذلك مع تقارب التيارات اليمينية الأوروبية (حالة حزب الجبهة الوطنية الفرنسي نموذجاً) مع روسيا، على الرغم من العداء التاريخي بين بعض هذه الأحزاب (حزب القانون والعدالة البولندي) وبين روسيا، وهو ما قد يتمخض عنه صفقة بارزة بين الاتحاد الأوروبي- في

ظل حكم اليمين- وبين روسيا من شأنها أن تؤدي إلى رفع العقوبات عن روسيا مقابل عملها على تسوية الوضع السوري وتهديته، من أجل خفض معدلات اللجوء والهجرة إلى أوروبا .

ج- الصراع العربي-الإسرائيلي

تتقسم التيارات القومية في وسط وغرب أوروبا حول سبل التعايش معه؛ ففي حين تعلن بعض التيارات القومية في وسط أوروبا رفضها صراحة لوجهات النظر الإسرائيلية، بل وتتهمها، مع النخبة اليهودية العالمية، بـ(استعباد الفلسطينيين) والسيطرة على توجهات الحكومة الأمريكية؛ نجد أن دول غرب أوروبا مؤيدة لإسرائيل، انطلاقاً من اعتقادهم بأن التهديدات التي تواجه الأمن الإسرائيلي والأوروبي- على السواء- تتبع من الإسلام، وأنهم يحاربون نفس الحرب، وهو ما يدفع إلى ضرورة دعم أوروبا لإسرائيل.

ومع تزايد نبرة الإسلاموفوبيا في أوروبا، بالتزامن مع التوجه الأمريكي الداعم بقوة لإسرائيل، بعد فوز دونالد ترمب في انتخابات الثامن من نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٦، وما يُثار بشأن نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب للقدس، فمن المحتمل أن يزداد الاتجاه المؤيد لإسرائيل في أوروبا بقوة في المرحلة القادمة، بما يؤثر في مسارات حل الصراع، ويُرجح كفة الجانب الإسرائيلي بشكل أكبر، وهو ما سيزيد- بالضرورة- الإقليم توتراً .

د- العلاقة مع إيران

تمثل قضية العلاقات الأوروبية مع إيران معضلة بالنسبة إلى التيارات اليمينية الصاعدة في القارة؛ ففي الوقت الذي تحتاج فيه تلك التيارات إلى إيران لتسوية الأزمة السورية بما يسهم في وقف تدفق اللاجئين لأوروبا من ناحية، وإمدادها بالطاقة من ناحية أخرى، تتخوف الدول الأوروبية من أن تؤدي التطورات القادمة في الشرق الأوسط إلى حرب واسعة في ظل إعلان ترمب نيته إلغاء الاتفاق النووي مع إيران، وهو ما قد يؤثر بالسلب في الأمن الأوروبي، ومن ثم قد تسعى التيارات اليمينية للحفاظ على علاقات متوازنة مع إيران، بما يضمن لها الدعم الإيراني في مجال الطاقة .

أخيراً: ملخص الورقة

ارتبط مصطلح اليمين بالضرورة بمجموعة من الأحزاب اليمينية بالأساس في القارة الأوروبية، وتمثيالاته السياسية هناك بارزة مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية، لكن تمثله مؤخراً في خطاب دونالد ترمب، الرئيس الجديد للولايات المتحدة الأمريكية، مثل صدمة لدوائر الحكم والسياسة والثقافة وقطاع واسع من المجتمع الأمريكي.

ويمثل صعود اليمين المتطرف خطراً على جملة المكتسبات المرتبطة بالديمقراطية وحقوق الإنسان التي كافحت الإنسانية من أجل ترسيخها ونيلها، فقد شهدت الموجة المتصاعدة

لهذا التيار السياسي بروزاً واسعاً لنبرة وممارسات تستهدف اللاجئين عموماً، والمسلمين خصوصاً، والسود والنساء، وزاد التمييز العنصري، وتسبب صعود هذا التيار في زيادة جرائم الكراهية، وقدم زعماء للسلطة خطاباتهم السياسية أقرب إلى خطابات النازية، وهو ما ولد حالة توتر واستقطاب لم يشهدها العالم منذ مدة طويلة للغاية. والتيار اليميني يتعاطف رموزه وسياسيوه ومؤيدوه اليوم مع أنظمة استبدادية عديدة، واحد منها- هو نظام الأسد- أشعل حرباً في بلده، وشرّد نحو 11 مليون سوري تركوا منازلهم، ونحو مليون شخص طالبوا بحق اللجوء إلى أوروبا، كما كان هذا التيار مسؤولاً عن بروز ظاهرة (الإسلاموفوبيا) في الغرب، وهي ظاهرة ارتبطت بممارساته ضد الأقليات المسلمة في الغرب، وهي ظاهرة أصبحت متعززة في الغرب عموماً، وبدرجة أكبر في أوروبا، من خلال منظومة قوانين تدعمها الأحزاب اليمينية في البرلمانات الأوروبية للتضييق على حقوق هذه الأقليات، كقانون حظر الحجاب في فرنسا، وقانون حظر المآذن في سويسرا، وتعاضم هذا الخطاب مؤخراً ليشمل التحريض على وجود هذه الأقليات من أساسه، والخوف من تعاضمها على الثقافة والهوية الأوروبية.

هناك قلق بالغ من صعود التيارات اليمينية إلى السلطة التي تزحف بقوة لسدة الحكم في أوروبا والولايات المتحدة لتبنيها لبرامج وتصورات سياسية تمثل خطراً بالغاً على نسق النظام العالمي ومصالحه السياسية والاقتصادية، وبالخصوص منطقة الشرق الأوسط، قلب العالم الإسلامي، حيث استطاع هذا التيار أن يحرز في السنوات الأخيرة نجاحاً معقولاً، بوصول ترمب لرئاسة البلد الأكبر في العالم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، وما يستتبع ذلك من تغيير في موازين القوى الدولية، وتأثير في مصالح مختلفة، أبرزها تغيير نمط التحالفات وشكلها التقليدي بمنطقة الشرق الأوسط، كما استطاع هذا التيار إقناع الشارع في بريطانيا بالخروج من الاتحاد الأوروبي، كما استطاع تحقيق الفوز في انتخابات المحليات والحكومات الأوروبية، بل والبرلمان الأوروبي في بلدان أوروبية عديدة، في ضربة قاصمة للأحزاب والتيارات الليبرالية واليسارية ومجموعات يسار ويمين الوسط.

على بلدان مناطق الشرق الأوسط، وتحديدًا منطقة الخليج والمنطقة العربية، أن تعيد حساباتها في ظل هذه التغييرات الجذرية شديدة الديناميكية، في وضع أكثر من تصور لمجابهة هذا التيار اليميني الذي يؤثر وصوله إلى السلطة في مصالحها السياسية والاقتصادية، وطرح أكثر من تصور، وما يمكن أن يستتبع من تغيير خريطة التحالفات الدولية بالمنطقة.

أولاً: المصادر العربية:

- رابح زغوني: الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا، مقاربة سوسيوقافية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٢١، بيروت، مارس/آذار ٢٠١٤.
- هشام المالكي: الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا، مركز نماء للدراسات والأبحاث، ١٤ يوليو/تموز ٢٠١٤: <https://goo.gl/PElnrR>
- الشيماء عرفات: هل سيطر اليمين المتطرف على أوروبا من جديد؟، مصر العربية، ١٨ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٥: <https://goo.gl/fliwBt>
- نبيل شبيب: اليمين المتطرف ومستقبل المسلمين في أوروبا، ٢٠٠٤، الجزيرة: <https://goo.gl/B9ZBX1>
- أحمد شوكت: نون بوست، ١٩ يوليو/تموز ٢٠١٦: <https://goo.gl/WJxYBx>
- مروة نظير: مؤشرات وأسباب صعود اليمين المتطرف في أوروبا، الوطن، الثلاثاء ٢٨ يونيو/حزيران ٢٠١٦: <http://alwatannewspaper.ae/?p=42430>
- الأب رفيق جريش: نحن واليمين الغربي، الشروق المصرية، ٢٦ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٦: <https://goo.gl/T20etR>
- أحمد شوكت: ٥ أسئلة توضح لك من هم اليمين المتطرف في أوروبا؟، نون بوست، ١٩ يوليو/تموز ٢٠١٦: <https://www.noonpost.net/content/12914>
- وحدة تحليل السياسات، خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي: التداعيات وشكل العلاقة المستقبلية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٣٠ يونيو/حزيران ٢٠١٦: <https://goo.gl/EkAeec>
- هل هو خروج لبريطانيا فحسب أم بداية تفكك الاتحاد الأوروبي؟ فريق تحرير (نون بوست) يونيو/حزيران ٢٠١٦: <https://goo.gl/q4mYia>
- رئيس البرلمان الأوروبي يحذر من انهيار البرلمان، جريدة الشرق الأوسط، نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٤: <https://goo.gl/EKRjnF>
- عبد النور بن عنتر: المستقبل السياسي لليمين الأوروبي، الجزيرة، أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٤: <https://goo.gl/UTPdR1>
- عن انفصال بريطانيا، ميدل إيست أونلاين، يونيو/حزيران ٢٠١٦: <https://goo.gl/KWXXHj>

- <https://goo.gl/td٦hjG> ,٢٠١٦ The Guardian, January
- Anti-immigration party wins Swiss election in «slide to the Right», -
<https://goo.gl/tjqPrq> :٢٠١٥ The telegraph, October
- Roland Freudenstein, Eoin Dera and Aggelos Aggelou, “BREXIT IN
 FOCUS: Six ways it will fundamentally change the EU,” Wilfrid Martens -
<https://goo.gl/CU٦١٩A> :٢٠١٥ Center for European Studies, June
- Soeren Kern,Germany’s Migrant Rape Crisis Spirals out of Control, -
<https://goo.gl/s٩zVpC> :٢٠١٦ ,August ٩ ,Gatstone Institute
- Amber Jamieson, «Not even my wife knows»: secret Donald Trump -
<https://goo.gl/OJMeQ٥> :٢٠١٦ ,March ٣ ,voters speak out, The Guardian
- ٣rd biggest German party, The Jörg Luyken, Hard-right AfD now -
<https://goo.gl/WienKF> :٢٠١٥ ,November ١٧ ,Local
- The Data Team of The Economist, What Germany’s state election -
<https://goo.gl/g٠V٧NV> :٢٠١٦ ,March ١٤ ,results mean for its politics, The Economist
- The rise of Europe’s right and its impacts on European Middle -
<https://goo.gl/mlGt١y> :٢٠١٧ East policy, Future UAE, January

- هشام الأشقر: قراءة في الموجة الجديدة لليمين المتطرف في أوروبا وأسباب دعمه للنظام في سوريا، ٢٧ يناير/كانون الثاني ٢٠١٤: <http://al-manshour.org/node/٤٩٠٤>
- عمر الخطيب: هؤلاء هم داعمو الأسد من (اليمن المتطرف) في فرنسا، أورينت، ١٤ مارس/آذار ٢٠١٥: <https://goo.gl/L٢fDjD>
- سلام السعدي: أزمة الديمقراطية الليبرالية، صحيفة (العرب)، ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٦: <https://goo.gl/vNjDbQ>
- أحمد ناصر: حكاية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي كلها، ٢٩ يونيو/حزيران ٢٠١٦: <https://goo.gl/S١HCXf>
- سعيد الشهابي: صعود اليمين المتطرف في أوروبا ينذر باستقطاب حضاري حاد، القدس العربي، ٢١ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٦: <http://www.alquds.co.uk/?p=٦٣٣٣٤٦>
ثانياً: المصادر الأجنبية
- The New York Times, Europe's Rising Far Right: A Guide to the Most Prominent Parties, The New York Times, December ٤, ٢٠١٦: <https://goo.gl/fLrq١C>
- Paul Krugman, Populism, Real and phony, The New York Times December ٢٣, ٢٠١٦: <https://goo.gl/pu٦BO٠>
- Edward G. DE Clair, Pathways to Power on the Far Right: Elite Southeastern Political Review Recruit in the French National Front, 1٠٦ .Vol ٢٦ .No. ١
- Stefan Lehne, How the refugee Crisis will reshape the Eu, Carnegie Europe Center, February ٤, ٢٠١٦: <https://goo.gl/oQKLgL>
- Aberbach, Putnam and Rockman, Bureaucrats and Politicians in Western Democracies, Harvard Press ١٩٨١: <https://goo.gl/vOFjMU>
- Polish media laws: Government takes control of state media, BBC, January ٧, ٢٠١٦: <https://goo.gl/٢00٣hW>
- Danish parliament approves plan to seize assets from refugees,



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعدّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتمتية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

الأهداف

- الإسهام في نشر الوعي الثقافى.
- قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.
- التأصيل العلمي للقضايا السياسية المستجدة.
- مواكبة المتغيرات العلمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

الوسائل

- إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.
- التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.
- تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.
- إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.
- رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

١. الأبحاث والدراسات:

حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص المركز، وهي:

- الدراسات السياسية.

- الدراسات المتخصصة في التيارات الإسلامية والفكرية.

-الدراسات الحضارية والتنمية.

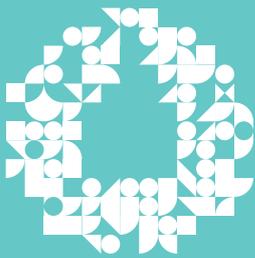
- دراسات الفكر الإسلامي.

٢. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية، بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدِّد المهارات.

٣. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies

[f](#) [t](#) [v](#) fikercenter

+90 535 320 46 03
+90 212 7077 79

info@fikercenter.com
publish@fikercenter.com